ومن فاته علمه فاته المعظم لانه اذا وجد مثلا كلمة مبهمة فاذا صرفناها اتضحت بمصادرها
وقال الزمخشري ومن بدع التفاسير قول من قال ان الامام في قوله تعلى يوم ندعوا كل اناس بامامهم
جمع أم وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم دون ابائهم وهذا غلط اوجبه جهله بالتصريف
فان اما لا تجمع على امام الرابع الاشتقاق لان الاسم اذا كان اشتقاقه من مادتين مختلفتين اختلف
المعنى باختلافهما كالمسيح هل هو من السياحة او المسح الخامس والسادس والسابع المعاني والبيان
والبديع لانه يعرف بالاول خواص تراكيب الكلام من جهة افادتها المعنى وبالثاني خواصها من حيث
اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخفائها وبالثالث وجوه تحسين الكلام وهذه العلوم الثلاثة هي
علوم البلاغة وهي من اعظم الاركان للمفسر لانه لا بد له من مراعاة ما يقتضيه الاعجاز وانما
يدرك بهذه العلوم قال السكاكي اعلم ان شان الاعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن
يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة ولا طريق الى تحصيله لغير ذوي الفطر السليمة الا التمرن في علم المعاني
والبيان وقال ابن ابي الحديد اعلم ان معرفة الفصيح والافصح والرشيق والارشق من الكلام امر لا يدرك
الا بالذوق ولا يمكن اقامة الدلالة عليه وهو بمنزلة جاريتين احداهما بيضاء مشربة بحمرة دقيقة
الشفتين نقية الشعر كحلاء العين اسيلة الخد دقيقة الانف معتدلة القامة والاخرى دونها في هذه
الصفات والمحاسن لكنها احلى في العيون والقلوب منها ولا يدرى سبب ذلك ولكنه يعرف بالذوق
والمشاهدة ولا يمكن تعليله وهكذا الكلام نعم يبقى الفرق بين الوصفين ان حسن الوجوه وملاحتها
وتفضيل بعضها على بعض يدركه كل من له عين صحيحة واما الكلام فلا يدرك الا بالذوق وليس
كل من اشتغل بالنحو واللغة والفقه يكون من اهل الذوق وممن يصلح لانتقاد الكلام وانما اهل
الذوق هم الذين اشتغلوا بعلم البيان وراضوا انفسهم بالرسائل والخطب والكتابة والشعر وصارت لهم
بذلك دربة وملكة تامة فالى اولئك ينبغي ان يرجع في معرفة الكلام وفضل بعضه على بعض وقال
الزمخشري من حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز ان يتعاهد بقاء النظم على حسنه والبلاغة
على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح وقال غيره معرفة هذه الصناعة باوضاعها هي
عمدة التفسير المطلع على عجائب كلام الله وهي قاعدة الفصاحة وواسطة عقد البلاغة الثامن
علم القراءات لانه يعرف به كيفية النطق بالقرءان وبالقراءات يترجح بعض الوجوه المحتملة على بعض التاسع
اصول الدين بما في القرءان من الايات الدالة بظاهرها على ما لا يجوز على الله فالاصولي يأول ذلك ويستدل
على ما يستحيل وما يجب وما يجوز العاشر اصول الفقه اذ به يعرف وجه الاستدلال على الاحكام والاستنباط
الحادي عشر اسباب النزول والقصص اذ بسبب النزول يعرف معنى الاية المنزلة فيه بحسب ما انزلت فيه الثاني
عشر الناسخ والمنسوخ ليعلم المحكم من غيره الثالث عشر الفقه الرابع عشر الاحاديث المبينة لتفسير المجمل
والمبهم الخامس عشر علم الموهبة وهو علم يورثه الله لمن عمل بما علم واليه الاشارة بحديث من عمل
بما علم علمه الله علم ما لم يعلم قال ابن ابي الدنيا وعلوم القرءان وما يستنبط منه بحر لا ساحل له
قال فهذه العلوم التي هي كالالة للمفسر لا يكون مفسرا الا بتحصيلها فمن فسر بدونها كان مفسرا
بالراي المنهي عنه واذا فسر مع حصولها لم يكن مفسرا بالراي المنهي عنه قالوا والصحابة والتابعون كان

عندهم

عندهم علوم العربية بالطبع لا بالاكتساب واستفادوا العلوم الاخرى من النبيء صلى الله عليه وسلم
قلت ولعلك تستشكل علم الموهبة وتقول هذا شيء ليس في قدرة الانسان تحصيله وليس كما
ظننت من الاشكال والطريق في تحصيله ارتكاب الاسباب الموجبة له من العمل والزهد قال في البرهان
اعلم انه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي ولا يظهر له اسراره وفي قلبه بدعة او كبر او هوى او حب الدنيا
او وهو مصر على ذنب او غير متحقق بالايمان او ضعيف التحقيق او يعتمد على قول مفسر ليس عنده علم
او راجع الى معقوله وهذه كلها حجب وموانع بعضها اكد من بعض قلت وفي هذا المعنى قوله
تعلى ساصرف عن ءاياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق قال سفيان بن عيينة يقول انزع عنهم
فهم القرءان اخرجه ابن ابي حاتم وقد اخرج ابن جرير وغيره من طرق عن ابن عباس قال التفسير اربعة اوجه
وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر احد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه
الا الله ثم رواه مرفوعا بسند ضعيف بلفظ انزل القرءان على اربعة احرف حلال وحرام لا يعذر احد بجهالته
وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلماء ومتشابه لا يعلمه الا الله ومن ادعى علمه سوى الله
فهو كاذب قال الزركشي في البرهان في قول ابن عباس هذا تقسيم صحيح فاما الذي تعرفه العرب
فهو الذي يرجع فيه الى لسانهم وذلك اللغة والاعراب فاما اللغة فعلى المفسر معرفة معانيها ومسميات
اسمائها ولا يلزم ذلك القارئ ثم ان كان ما تتضمنه الفاظها يوجب العمل دون العلم كفى فيه خبر الواحد
والاثنين والاستشهاد بالبيت والبيتين وان كان يوجب العلم لم يكف ذلك بل لا بد ان يستفيض ذلك
اللفظ وتكثر شواهده من الشعر واما الاعراب فما كان اختلافه محيلا للمعنى وجب على المفسر والقارئ
تعلمه ليتوصل المفسر الى معرفة الحكم وليسلم القارئ من اللحن وان لم يكن محيلا للمعنى وجب تعلمه
على القارئ ليسلم من اللحن ولا يجب على المفسر لوصوله الى المقصود بدونه واما ما لا يعذر احد
بجهله فهو ما تتبادر الافهام الى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الاحكام ودلائل
التوحيد وكل لفظ افاد معنى واحدا جليا يعلم انه مراد الله فهذا القسم لا يلتبس تاويله
اذ كل احد يدرك معنى التوحيد من قوله فاعلم انه لا اله الا الله وانه لا شريك له في الالهية
وان لم يعلم ان لا موضوعة في اللغة للنفي والا للاثبات وان مقتضى هذه الكلمة الحصر ويعلم كل
احد بالضرورة ان مقتضى واقيموا الصلاة وءاتوا الزكاة ونحوه طلب ايجاد المامور به وان لم يعلم
ان صيغة افعل للوجوب فما كان من هذا القسم لا يعذر احد يدعي الجهل بمعاني الفاظه لانها معلومة
لكل احد بالضرورة واما ما لا يعلمه الا الله فهو ما يجري مجرى الغيوب نحو الاي المتضمنة لقيام الساعة
وتفسير الروح والحروف المقطعة وكل متشابه في القرءان عند اهل الحق فلا مساغ للاجتهاد في تفسيره
ولا طريق الى ذلك الا بالتوقيف بنص من القرءان او الحديث او اجماع الامة على تاويله واما ما يعلمه العلماء
ويرجع الى اجتهادهم فهو الذي يغلب عليه اطلاق التاويل وذلك استنباط الاحكام وبيان المجمل
وتخصيص العموم وكل لفظ احتمل معنيين فصاعدا فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه
وعليهم اعتماد الشواهد والدلائل دون مجرد الراي فان كان احد المعنيين اظهر وجب الحمل عليه الا ان يقوم
دليل على ان المراد هو الخفي وان استويا والاستعمال فيهما حقيقة لكن في احدهما حقيقة لغوية

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)